

## الرواية السعودية الجديدة

أ.د. زينب هادي حسن      حسام عليوي محيبس

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

### توطئة:

شهدت الجزيرة العربية تحولات جذرية نتيجة لاكتشاف اكبر مخزون نفطي في العالم على الطرف الجنوبي للخليج العربي في الثلاثينات من القرن العشرين . وكان هذا الاكتشاف احد اهم المصادر الحيوية في هذا العصر . وكان تاثير هذا الانتقال على الثقافة العربية على نحو عام وعلى سكانها الذين يعيشون حياة البداوة على نحو خاص . وهو الموضوع الذي تعالجه اكثر مشاريع الرواية التي صدرت بالعربية تشابكاً مع الوقت الحاضر الا وهي (خماسية عبد الرحمن منيف) ، كما شهدت حركة تعليمية تزداد اتساعاً وشمولاً وبدأت المجتمعات المعاصرة تحدث تأثيراً على المجتمع الخليجي على نحو خاص في العقود الأخيرة : مما أدى إلى بروز سلسلة من احدث التقاليد القصصية الآخذة بالتطور باستمرار جعلت منها منظوراً مثيراً يختلف عما تشهده بقية الاقطار العربية . ولم يكن للادباء الرواد السعوديين مفر من التأثير بأداب البلدان العربية المجاورة ، ولا سيما ادب مصر وادب المهجر الأمريكي . فضلاً عن التيار الغربي الذي وصل اليهم عن طريق الترجمة ، أو عن طريق قراءاتهم للأثار العربية المتأثرة بالثقافة الغربية<sup>(1)</sup>.

إذ وجد أولئك الادباء انفسهم بعيدين بمسافات عن اقرانهم في البلاد العربية المجاورة ، ولا سيما في مصر والشام ، ووجدوا هذا العهد السعودي الجديد يفتح امامهم الابواب المغلقة ويتيح لهم حرية لطالما حلموا بها خلال العهود السابقة من خلال تشجيع الصحافة ونشر التعليم ، فبدأوا بأخذ زمام الامور وهم يتنادون باسم الادب ويحمس بعضهم بعضاً<sup>(2)</sup> .

وقد اصبحت المملكة العربية السعودية مركز ثقل عالمي بما تملكه من مخزون نفطي كبير يعد من اهم المصادر الحيوية في هذا العصر الى جوار كونها قبلة المسلمين ، وكان لذلك وللافتتاح العالمي اثره في انتعاش الحركة الاجتماعية والثقافية والادبية بخاصة<sup>(3)</sup> . وبمنظرة فاحصة الى تطور الرواية السعودية نجد الباحثين يقسمونها الى ثلاث مراحل :

- المرحلة الاولى تبدأ بصور اول قصة سعودية لعبد القدوس الانصاري (التوأمين) 1930 ، تعد الارهاصة الاولى للرواية السعودية ، لذلك تسمى بمرحلة النشأة

والتأسيس، ثم ظهرت قصص متوسطة الطول ، ولكنها لا تعطي اي دلالة فنية ، ويلاحظ ان الرواية السعودية نشأت او ولدت في بيئة الحجاز .

- المرحلة الثانية : البدايات الفنية 1959 ، ويسمىها بعض الباحثين . (مرحلة الهوية والتجديد) ، والمتمثلة بصور رواية (ثمن التضحية) لحامد دمنهوري ، اول رواية فنية في الرواية المحلية<sup>(4)</sup> .

- واما المرحلة الثالثة : فتمتد من عام 1980-1998 ، ويطلق عليها (الشنطي) مرحلة (التحديث والانطلاق) وتتميز هذه المرحلة بغزارة الانتاج حتى تجاوزت مائة عمل روائي وظهرت فيها طرائق مختلفة ومتنوعة في اساليب السرد . وظهرت في هذه المرحلة اسماء جديدة كما تحول كثير من كتاب القصة القصيرة من المرحلة السابقة الى كتاب الرواية مثل عبد العزيز مشري ، وعبد خال ، وتركي الحمد ، وغازي القصيبي ، وعلي الدميني<sup>(5)</sup>.

ومعلوم أن (في الادب السعودي يشهد الفن الروائي نمواً ملحوظاً على مستوى النتاج الابداعي الروائي كماً وكيفاً . وهذا النمو الملحوظ يقابله نمو في النتاج النقدي المواكب له)<sup>(6)</sup>. وعليه (فلا يمكن من الوجهة الحضارية ان تكتب الرواية في الربع الاخير من القرن العشرين بالطريقة التي كانت تكتب بها في القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن ايضاً . انه لا يجوز ان تمضي هذه المستكشفات الحضارية المثيرة دون ان تترك اي اثر في الفنون والآداب والمناهج وطرائق التفكير)<sup>(7)</sup>.

وفي المحصلة (تضافرت عوامل كثيرة بعضها تاريخي وبعضها حضاري وبعضها ثقافي لتدفع بعجلة الرواية الى مأزق تفجرت فيه الرواية الجديدة ، واتخذت لنفسها طرقاً عريضة تسير فيها ، وأنشأت لها عالماً رحيباً تضطرب في مناكبه : وذلك تحت الف لباس ، وبوجه فني يتشكل في الف صورة وبلغة جديدة تتأسلب بألف اسلوب . فتحت هذه المعطيات المتوالية المتلازمة نشأة الرواية الجديدة تعبيراً عن هذا التعقيد المعقد من مركبات العصر فهي مرآة في رأينا للفكر الانساني المعاصر في قلقه وتمزقه وشكله وعبثه وشقائه)<sup>(8)</sup>. وكما ان (ثمة تغيرات وانقلابات فكرية واسلوبية جرت على طبيعة المقاربات النقدية الحدائية واسسها المعرفية- وان كنا نؤمن ان الابداعات الانسانية، هي ملك للتجربة الانسانية على نحو عام فبدأت مواجهات جديدة حاولت كسر حدة هذه المقاربات الشكلانية ، ولاسيما الاهتمام بالنص والعلاقات الداخلية)<sup>(9)</sup>.

ومن الواضح (قد بدأت الرواية في اتخاذ الشكل الحديث المعروفة به حالياً عندما انفصلت عن سرد الحقائق التي وقعت بالفعل ، وتحولت الى تشكيل يعتمد على خيال الروائي بالدرجة الاساس . وقد اسهمت المدرسة الواقعية في وضع تعريف للرواية ، إذ يصفها بلزاك - وهو من ادباء الواقعية - بأنها : {خطة واسعة جداً تجمع التاريخ ونقد المجتمع وتحليل اضراره ومناقشة مذهبه} . ولذلك لم تعد الرواية الحرفية تهتم بالمغامرات بقدر اهتمامها بالحياة الرتيبة للأفراد العاديين ، وتكاد تخلو من الحوادث ، إذ انصب اهتمام الروائيين المحدثين على الحياة الداخلية للإنسان كنتيجة لاكتشافات علم النفس . وادى هذا الى ارتباط الرواية بالمنهج العلمي الذي ينأى عن المصادفة كعامل من عوامل البناء الدرامي ، وبدأت الحبكة بالتراجع ، وبرزت اهمية دراسة الشخصية من كل جوانبها السوية وغير السوية على حد سواء<sup>(10)</sup>.

وعلى وفق هذا (شهدت الرواية السعودية نقلة مغايرة وتحولاً نوعياً في مستواها الفني والموضوعي واصبح الخطاب الروائي يعالج قضايا كبرى بعد ان كان يدور في نطاق محدود . واعتمد في مرحلة التجديد اللغة الموحية بما فيها من رموز وايحاءات دالة تعبر عن هموم الكاتب وتجربته الحياتية وفق رؤية عميقة شمولية لا تقف عند الخاص والذاتي وظهر اثر الطابع المحلي الصادق في تصوير بيئة القرية والريف في بناء فني محكم يدرك طبيعة الفن الروائي)<sup>(11)</sup>.

ونشير الى أن (الرواية عامة خضعت لكثير من المفاهيم التي تبدلت تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية في مجتمعاتنا وتطور مفهوم الرواية لم يأت في فترات زمنية قصيرة، بل بعد ان نضجت الادوات الفنية واخذت حقها من التوظيف رداً كبيراً من الزمن . وعلى امتداد كثير من الروايات الاجنبية والانجليزية والامريكية .. الخ . اما الرواية العربية ، والرواية السعودية خاصة فكانت تبدأ من حيث تنتهي روايات تلك الدول ، ثم تقفز قفزات سريعة في محاولة جريئة منها لمواكبة التطور الفني في الرواية)<sup>(12)</sup>.

إذ (إن المتأمل في المشهد الادبي يدرك حتماً دائرة الجدل حول مقولة (زمن الرواية) ، وانخراط الرواية السعودية ضمن منظومة الرواية العربية ، ووصولها المفاجئ لتصير حديث النقاد في وسائل الاعلام وعدد من المؤتمرات والمحاضرات والملتقيات الادبية المحلية وحتى الخارجية ، ولا شك ان مسوغ ذلك نمو المنتج الروائي السعودي الملحوظ)<sup>(13)</sup>.

وكما ان (اهم ما تتميز به الرواية الجديدة عن التقليدية ، انها تنثور على كل القواعد ، وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في كتابة الرواية التي اصبحت توصف بالتقليدية . فإذا لا الشخصية شخصية ولا الحدث حدث ولا اللغة لغة ، ولا اي شيء مما كان متعارفاً في الرواية التقليدية متآلفاً اغتدى مقبولاً في تمثل الروائيين الجدد . كانت الرواية التقليدية تركز كثيراً على بناء الشخصية والتعظيم من شأنها وذلك ابتغاء ايهام المتلقي بتاريخية هذه الشخصية وواقعيتها معاً . لكن الرواية الجديدة جاءت الى مثل هذه الشخصية فأعارتها ادناً صماء وعيناً عمياء . ان غاية الكتاب الجدد في تعاملهم مع الشخصية انهم يثبتون للقارئ لا تاريخية هذه الشخصية ولا واقعيتها ، بل لا وجوديتها ؛ ولكن على انها كائن من ورق مثلها مثل اللغة والحدث والزمان والمشكلات السردية الاخرى . فاذا جئنا الى لغة الرواية الجديدة هي ايضاً كأنما يراد لها ان تمرق من جلدها اللغوي الطبيعي فتحيل الى كائن غريب ممزق الإهاب مضطرب البناء ، ولكن ذلك يُلاصق بوعي فني كامل<sup>(14)</sup>.

ان مصطلح الرواية الجديدة يعبر عن اتجاه في الكتابة الروائية ارتبط بجملته من التحولات التي حدثت عالمياً . وهو مصطلح ابداعي ونقدي عالمي اثار تساؤلات عدة تتعلق بمفهومه الجديد وكونه ذا بعد معياري زمني متحرك<sup>(15)</sup>.

حيث تتمثل الخواص الفنية للرواية الجديدة في قدرة عناصرها ومكوناتها على الانسجام في ظل وحدة سردية متجانسة ومنظمة ومتفاعلة ، وتميزت ببعض الحوار الذي جاء سلساً وحيّاً وزاخراً بالقوة والثراء . وعكس من خلال ذلك صورة صادقة عن معاناة اكثر من شريحة اجتماعية في مجتمع الريف القروي المتخلف<sup>(16)</sup>، وغيرها من الخصائص وهي كالآتي :

## 1- النزوع الى الريف والمجتمع القروي

يعد الاهتمام بهذا المجتمع الخصيصة الاولى التي جاءت بها الرواية السعودية الجديدة ، بعد أن انغمست في مجتمع المدينة وغرقت في رسم طبقاتها المختلفة . فقد شغل مجتمع القرية والريف مساحة واسعة جداً من فضاء الرواية الجديدة ، لكونه يمثل العالم القصي المنحسر عن الحياة ، وذات الطبيعة المنغلقة التي توشحها عوامل الضعف والخواء . ولما كانت هذه الرواية تنزع الى تصوير الواقع الحالي وتمثيل النسبة الاكبر من فئاته ، فكان الاجدر بها ان تقف في ثيماتها على ذلك المجتمع الريفي ، لتكشف

خباياه ، وتستهلك منه مادة دسمة تنهض على حيثياتها في انتاج سرد دينامي حي ونابض بالحقيقة .

وقد برع (عبده خال) في اشتغاله على هذه الطبقة من المجتمع وتمثيل تطلعاتها الى الحياة بوصفها إنموذجاً معبراً عن واقع المجتمع السعودي . ومنه النص الآتي :

(أنا أشبه قريتي . هي قرية مثلها مثل كثير من القرى المقذوفة بهذه الناحية ، لكنها تتميز عنها بخاصية قد تكون فريدة من نوعها . فهي قرية ذات صبغة حيادية ، فمن يدخلها أو يخرج منها لا تترك في داخله اي شعور بالغبطة او الحزن . حتى أناسها اقرب الى الملامح الغائمة ، ويبدو أننا جميعاً - اهل القرية - نعيش هذه الازمة<sup>(17)</sup>).

وفي انموذج ثانٍ يحاكي الرواية السعودية الجديدة في نزوعها الى الحديث القروي، وانغماسها في هموم الريف ومجتمع الفلاحين ، لتقديم صورة واقعية عنه ، تأتي رواية (الموت يمر من هنا) لتحمل المزيد من تلك الصور ، ومنه النص الآتي:

(وتبقى الحقول خاوية تلعب فيها الرياح والغبار ، وتستوطنها اعجاز نخرة من مواسم منسية وتصبح الحياة شحيحة في هذه المنطقة ، فالطيور تهاجر تاركة ريشها عالقاً باشواك الاشجار اليابسة . وتبقى قنوات المياه تمضغ الغبار الناعم وتستلقي في تعرجاتها ببلادة . ويغادر الفلاحون الى القرى البعيدة ، يحرقون ويزرعون اراضي الآخرين مقابل ان يحصلوا على النذر اليسير من تعبهم .. وغالباً ما يأتي المحصول أقل من جشعهم ونفقاتهم الباهضة ، فيعودون يجرون حسراتهم وخسارتهم<sup>(18)</sup>).

واما رواية (مدن تاكل العشب) ، فقد جاءت لتمثل حال القرية واحاديث اهلها. ومن صميم معاناتهم للامساك بالحياة والابقاء عليها ، ومنها النص الآتي :

(حط الجراد على تلك الاشجار اليابسة المتناثرة على مفترق القرية ، وجرى نهار قائل بين حقول احتضنت غبارها وتشققاتها منذ فترة ليست قصيرة ، وتحت عرائش منصوبة على جنبات الحقول جلس الفلاحون يحترسون الشاي بملل ، وعيونهم تتابع صبية تراكضوا خلف سرب الجراد للامساك به وشيّه ، وصبايا أخذن يُنَقَبْنَ عن أي شيء بداخل الارض الميتة ... بالله عليك هل يجدي الصبر مع هذا القحط؟<sup>(19)</sup>).

## 2- شعرية اللغة أو الشاعرية

شعرية اللغة هي الخصيصة الثانية التي إنمازت لها الرواية السعودية الجديدة، ويقصد بها شاعرية النص بحسب اصطلاح الغدامي ؛ الذي يقول عنها : (فنيات التحول الاسلوبي وهي استعارة لتطور الجملة ، حيث ينحرف عن معناه الحقيقي الى معناه

المجازي) ، من بواعث الشعرية في النص الروائي تجليات السردية معبأة بحالات الوجدانية ، أو الملونة بالآخيلة ، أو الموظفة لطاقت القصيدة الممتلئة في الاستعارات والكنائيات والرموز والاسطورة فعبقرية لغة الرواية تكمن في خلق كيان موحد متكامل من مواد متنوعة ومتناثرة وغريبة عن بعضها البعض ، وتحقق اللغة الشعرية في النص الروائي عن طريق انفتاح هذا الأخير على علم الشعر والخوض في جدليات الممكن واللا ممكن مما يكسب النص الجديد حرية الخروج عن تقاليد الكتابة التقليدية ، أي إبراز قدرات تعبيرية مختلفة من دون فقدان الخصائص الجوهرية الكامنة فيه بوصفه نثراً لا شعراً<sup>(20)</sup>.

ويجدر الذكر بأن الرواية الجديدة تمثل الجنس الأدبي الشعري اللا شعري معاً ، والاجتماعي واللا اجتماعي معاً ، والواقعي والاسطوري جميعاً ، وهي هذا الجنس المتغطرس الذي طغى في عهدنا هذا على جميع الأجناس الأدبية الأخرى<sup>(21)</sup> وللتمكن من التماس شعرية اللغة الروائية ، هذه الخصيصة الأخرى للرواية الجديدة ، جاء (عبده خال) ليحقق ذلك من خلال توظيفه لها في العديد من نصوص رواياته ، ومنها :  
(في الليل تستحيل القلعة متنفساً فسيح الأرجاء للخفافيش التي تتخطف المساجين ، وتمنعهم من اغفائة قصيرة تنسيهم عذاباتهم ، وتظل أجفانهم منتصبه في الليل والنهار. هذه القلعة لها تاريخ عميق من الرعب مدفون في صدور المسنين)<sup>(22)</sup>.

وعند التفحص في هذا النص سنجد أنه يحمل ملمحاً شعرياً واضحاً مما إنمازت به الرواية الجديدة باقترابها من لغة الشعر ، وتداخل الأجناس الأدبية الأخرى في كيانها الجديد . وذلك بما أصبحت تضمه من عناصر التشبيه والانزياح والكناية والدلالة وغيرها، والتي عرف تداولها في الشعر . ولعلنا نقصد في تناولنا هذا عنصر (التشبيه) . فقد شرع الكاتب من خلال هذا النص في توصيف الواقع بفئاته لتصوير لواعج الحياة فيه، مستدعياً في ذلك صورة من التشبيه تقي بذلك الغرض من التوظيف .

وفي نموذج آخر من رواية (نباح) ، فإننا لا نعدم ان نجد ملمحاً شعرياً آخرًا يحمل انزياحاً بعيداً عن الفكرة التي تنصدر سطح المعنى ، بما تمثله من معان أخرى تقي لاكتشاف بدائل جديدة غابت عن البال ، لتبديد اللا ممكن من أجل مواصلة الحياة ، ومنه النص الآتي : (عندما لا يكون هناك نساء جميلات ، تصبح القبيحات مجالاً لاكتشاف جمالهن الغائب)<sup>(23)</sup>.

### 3- تمثيل التحولات الاجتماعية العامة

في هذا المنحى ، (يذكر الباحث ابراهيم بن علي الدغيري في مدخل نظري له عن علاقة الرواية بحركة المجتمع قائلًا : (تجيء الرواية الواقعية بوصفها واحدة من اهم ادوات التعبير الادبي عن المجتمع . اعني به المجتمع الحديث ، وذلك راجع الى قدراتها الاستيعابية التي تحيط بكل الموضوعات . والمجتمع الذي أتحدث عنه هو أي مجتمع ، ويدخل فيه دخولاً اولياً المجتمع السعودي الذي ينتج الرواية اليوم وهو يمر بمتغيرات مفصلية كان منها المتغير السياسي كحروب الخليج واثاث سبتمبر وحرب المارقين ، ومتغيرات اقتصادية محلية زادت من ثروات وطحنت من ثروات ، ومتغيرات تقنية - كوسائل الاتصال والاستقبال ، ومتغيرات للتركيبة السكانية ذات الفئات العمرية الصغيرة ، وذلك ان نصف سكان المملكة هم دون 18 عاماً اي ان جيلاً كاملاً بدا يخطو الخطوات الاولى لكي يقود حركة المجتمع)<sup>(24)</sup>.

وعلى وفق هذا (حين نتحدث عن الرواية والتحولات الاجتماعية ، فنحن نتحدث عن تحولات اجتماعية عامة اثرت في قطاع عام من الكتابات الروائية ، وظهر اثرها جلياً فيه . ومرت المنطقة بتحويلات كبرى ذات ايقاع متسارع ، كان لها اثرها في الرويات المتأخرة . واجه جيل من الروائيين ضربة في عمق اعتداده بالهوية . وهي هنا القومية العربية في قضية العراق واعتدائها على الكويت ، واختلاف الاشقاء وما نتج عنه من تداعيات ، كان تهديداً صاروخياً للهوية . تعامل هؤلاء الروائيون مع هذه الضربة كموضوع . لكنهم واجهوها بتماسك في بنية الرواية ، وحبكتها وهوية موحدة تحكم اعمالهم غالباً ما تكون صيغتها قومية ، فاذا ما تعرضت الهوية العربية لهزة قوية كان الروائي يواجه ذلك بللمتها واعادة بنائها عبر بنية الرواية وأدواتها السردية)<sup>(25)</sup>.

ومعروف (ان الرواية هي فن المدنية ولما كان مجتمع المدينة بطبيعته اكثر انواع المجتمعات تجددًا وممارسة للتغيير واستجابة للتحويلات ، فقد كان من الطبيعي ان تعنى الرواية بهذه التجددات المدنية والمتغيرات والتحويلات فيها . واما أهمها فهي ما شمل خرق التابو أو المسكوت عنه ، في السياسة واكثر من ذلك في الدين)<sup>(26)</sup>.

وقد ترجم الاديب (عبده خال) تلك التحولات الاجتماعية في صيغة روائية متقنة البناء اقتصرت كل ما تواشج منها وتداعى في تكوين الصورة الحقيقية للواقع والفئات الاجتماعية . وجاءت رواية (نباح) لتكون خير ما يجسد تلك التحولات وتمثلاتها في مناحي المجتمع كافة ونستعرض منها النص الآتي :

(بدأت حرب الكويت . تعكرت مواعيد لقاءاتنا ، كنا نجلس داخل البيت ، ووالدتي تجوس البيت باحثة عن طمأنينة تركز اليها . وتثبت يقينها من أن كل الثقوب التي يمكن لهواء عابر النفاذ منها قد سدّت . فهاجس الغازات السامة التي وعد صدام باطلاقها تغلغل بالنفوس . ولم يترك لها لحظة اطمئنان ووضعت امامنا مناشف مبللة بالماء ، ووفق التعليمات التي تلقيناها من مراكز التطوع كان علينا ان نضعها على انوفنا في حال شن غارة جوية او سقوط صاروخ داخل المدينة ...

وفي تلك الايام نشأت عادة التفاف البعض على بعض ، يتجمع الاقارب والجيران في مكان واحد لمواجهة الخطر المحتمل ، وفضل الغالبية فكرة الموت الجماعي . حالة الحرب تترك ثقباً مفتوحاً في الصدر لاستقبال أي مباغته . اهتزت المملكة عن بكرة أبيها . اهتزت اهتزازاً عنيفاً. اظن ان المملكة بكل مدنها ، وقراها ، وسهولها، وجبالها ، ارتبكت حينها ، فلم يحدث في تاريخنا ان نهتز جميعاً<sup>(27)</sup>.

يمثل هذا النص التوجه الجديد الذي حذت به الرواية السعودية في الابتعاد عن التأريخية في تشكيل الشخصيات والتقليدية في تشكيل السرد ، والنزوع الى الواقع وتحولاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمثلت بحرب الخليج الثانية ، وغزو النظام العراقي السابق لدولة الكويت ، والاضطراب الفادحة التي زعزعت امن دول الخليج العربي وفي مقدمتها المملكة السعودية . وذلك من خلال تقديم جسد جديد يقوم السرد على تفصيلاته ، والوقوف على مفاصله المتهرئة لتقديم صورة حقيقية لرواية واقعية جديدة . ولا نعدم أن نجد نصوصاً اخرى في رواية (نباح) ذات التحولات الاجتماعية الكاملة ، والتي صورت احوال الحرب الهوجاء ، وما انطفأ في ظل رعبها من ملامح الحياة ، وآمال النهار . وما تفتت على غاراتها من احلام وتطلعات لتلك الجماعات الانسانية . فقد جاءت الرواية الجديدة ترجمة واضحة الملامح لابرار تلك الثيمة بما تحمله من تحولات ، ومنها النصوص الآتية :

(والحلفاء يثرثرون كثيراً : صدام سيحرق المنطقة ، سيجعل نفطها وبلاً عليها ، وستحول تلك الثروة الى دنميت يتفجر ملتهماً الدنيا بأسرها .. هذه الوديعة من الخوف مكنتنا من الارتجاج بسهولة ، وأنسكبنا على بعضنا كأوانٍ تهشمت قبل الاوان)<sup>(28)</sup>. وهذا نص آخر مكمل لتلك التعابير :



(هبط ليل خرب ، وأرسل جنوده لتفتش عن نفس مطمئنة لتذيقها العذاب ، شارع مقفر ، وعتمة بسطت اطرافها في الطرقات ، وعويل ينبثق من تلك المنازل المنكبة على بعضها، وصفارات انذار تزار كسباع تهم بتمزيق المدى لتتنقض على المكان بضراوة الوحوش الجائعة ، ثمة اقدام تتراكم باحثة عن مأوى يقيها ما يمكن أن يسقط من السماء ، فيقصف روحاً تواقة للحياة)<sup>(29)</sup>.

#### 4- الرواية الجديدة والوعي بالذات (الهوية)

للحديث عن الهوية في التجربة الحداثية (تظهر سمات التجربة الحداثية في الرواية في حدة الوعي بالذات وتمايزها اي بالهوية . ولذلك كانت حرب الخليج الثانية مؤثراً قوياً على الرواية لكن حدة الوعي بالذات وتفاعلها معه هو الذي انتج موضوعات شديدة التشابك مع هذه الازمة ، وشديدة التناسج معها . حيث تظهر تفاعلاتها معها في مضامينها وموضوعاتها ونوعاً ما في بنياتها وتقنياتها السردية . فيقدر ما يكون الموضوع هو تشطي الهوية والفجيرة امام انهزامها وتكسرهما ، تكون البنية عملية اعادة بناء ولملمة اشلاء هذه الهوية المتناثرة عبر تقنيات الرواية المختلفة من الصوت السردى وعدسة السرد والمكان والزمان واللغة)<sup>(30)</sup>.

إذ (استوعبت الرواية السعودية المجتمع السعودي بقضاياها ومشكلاته ، بما فيها صراع الانا والانا ، وصراع الانا والآخر من اجل اثبات الهوية . واختلطت نظرة الروائيين للآخر فحيناً هو المغلوب على امره ، وحيناً هو الجحيم بتعبير (سارتر) وصورت محاولات الآخر لمقاومة الانصهار ، والاجتثاث الثقافي)<sup>(31)</sup>.

وقد طرح (عبد خال) موضوع (الهوية) في أدبه الروائي ، وأجاد في توظيفه بما ينسجم مع بنية المجتمع السعودي ، والاستجابة للمتغيرات الحاصلة في الواقع ، ولاسيما فيما يتعلق بالفئات المهمشة ، او المائلة للصدامات . ومنها ما جاء على لسان (فتون) في النص الآتي :

(في مجتمعي الحب فضيحة لانه يكشف خياراتنا بين اناس لم يختاروا شيئاً يخصهم ، حتى لم يختاروا ازواجهم ، اعلم ان الحياة تتارجح بين الاجبار والاختيار . لهذا قررت السير الى حتفي مختارة . فالحياة تقول : اسقط باختيارك أو إسمُ به ، أما الاجبار فينقص بهجتك حتى لو كنت ملكاً . بدأت حياتي بالاجبار وظللت انتقل من حياة الى اخرى مجبرة مغنفة . كنت صغيرة ، والرشد مغناه الاختيار والتميز ، وانا الآن اميز أن بامكاني الوصول الى غايتي)<sup>(32)</sup>.

يعبر هذا النص عن الوعي بالذات ، والهوية التي تجابه بالتهميش والقمع في ظل معطيات الواقع الكائن ، وظروف المجتمع التي تشكل جداراً صامداً لتطلعات بعض الفئات ووعيهم بذاتهم . فقد جاءت الرواية الجديدة لجمع ذلك الشتات من الوعي والتهميش ، ولملمته في كيان مستقر ، محاولة منها لطرح ثيمة جديدة الا وهي (الهوية) .

ونكمل الحديث (وفي السياق ذاته تأتي رواية «البحريات» لامية الخميس ، ويحيل هذا العنوان «البحريات» الى هوية جغرافية ترمز للهوية الثقافية ، الثقافة المتمدنة مقابل الهوية الصحراوية بكل خلفياتها واعرافها البدوية . البحريات نساء يجلبهن رجال من الجزيرة العربية من سواحل الشام ، يجلبوهن صغيرات في السن ، زوجات جميلات غصّات يعانين القرية وتغير البيئة ، من مجتمعات مدنية متحضرة الى مجتمعات بدوية متشددة في قلب الجزيرة العربية . تتأثر بنية الرواية بهوية البحريات ودفاعهن المستميت عن ذواتهن أمام تصلب البيئة الجديدة حيث يواجهن الهوية المتشددة المتمركزة حول نفسها، بفتح ثغرات في بناء تلك الهوية المنغلق عبر اللغة ومد حبال الكلام ، ويمثل تماسك الصوت السردى وحبكة الرواية ظلاً لبحث البحريات عن هويتهن القومية وسط مجتمع يرفض وجودهن . هي رواية حدثية تمثل عودة للصوت الحدائي وتمثيلاً لوعيه وتجربته وعنايته بها ، وبصقل هوية خاصة تميزه في تاريخ السرد المحلي والعربي . وللحديث عن تشظي الهوية الذي جاءت الرواية الجديدة كبنية للملحة هذا التوجه واعادته ضمن وعي فني تام<sup>(33)</sup>.

##### 5- الرواية الجديدة وتيار الوعي :

في ظل بؤادر التجديد (اهتم الروائيون الواقعيون بتطوير اعمالهم الروائية بما ينسجم مع تغير مجتمعاتهم وتطورها بوسائل متعددة . ولعل من ابرزها تحليل اعماق الذات الانسانية نفسياً ، معتمدين على الصدق في تصوير البيئة التي يحاولون الكشف عن اسرار عالمها الخاص . مال بعضهم الى التحليل النفسي محاولاً استبطان الواقع للكشف عن حقيقته ونقله كما هو)<sup>(34)</sup>. وقد (تحولت نقطة التركيز من تحري اوضاع المجتمع وصراعاته الى متاهة معقدة اخرى هي دواخل نفس الانسان. وبدأ الروائيون يتحرون ضمير الانسان مستخدمين اساليب علم النفس الحديث على المستوى العلمي ، واسلوب تيار الوعي والحوار الداخلي على المستوى الادبي)<sup>(35)</sup>.

ويأتي ذلك (بمعنى ان رواية التيار تأثرت بالفرويدية بلا شك ، في اهتمامها بالنفس ، لكنها قدمت شخصيات عادية في اطار (غير عادي) . فهي عندما ركزت على

دواخل هذه الشخصيات اكدت الاستلاب والغربة اللذين تحيا في ظلهما الشخصية ، لكن في ظروف المجتمع العصري ، وكشفت بعض الجوانب في داخل النفس كان قد استعصى على الرواية الواقعية الخارجية كشفها<sup>(36)</sup>.

وعلى هذا النحو (وبهذه المفاهيم الواقعية حفلت الرواية بالآراء الفلسفية والاجتماعية والنفسية ، فاصبحت ملامسة لمشكلات الانسان وعصره ، وان لم تكن تقريراً عن التجربة الا انها تصوير حي - للتجربة- يوحي بمعان انسانية ونفسية عامة . وبناءً على كل ما سبق جاء (تيار الوعي) ليمثل الثورة الحقيقية في تاريخ التطور الروائي عامة ، والاتجاه الواقعي خاصة . فاصبح مصطلحاً أسلوبياً قائماً بذاته ، ونتاجاً للرواية الواقعية التي تعنى بالتحليل النفسي للأشخاص والمواقف ، من خلال جلاء النفس الانسانية وتصوير اللواعج الذاتية والجمعية<sup>(37)</sup>.

قدم (عبد خال) أمثلة عديدة من تلك الصياغة الروائية الجديدة معتمداً أسلوب (تيار الوعي) ، بوصفه واحداً من مبدعي الرواية السعودية الجديدة ، ومنها النص الآتي :  
(لقد اكتشفت بأن الحب اغنية هزيلة نحرص طوال ايامنا على ترديدها ، مترنمين بها الى درجة الافتتان ، وفجأة نفيق على صراع ينبهنا بان اصواتنا نشاز . أو أن كلمات هذه الأغنية هربت من ذاكرتنا ، وغدونا نردد كلمات مفككة عندها نشعر بالالام . ونسفك بقية اعمارنا في استرجاع تلك الغفلة التي كنا نعيشها . ان استرجاعنا تلك اللحظات كمن يحاول احلال الوهم محل الحقيقة ، ولولا هذا الوهم لاصبحت حياتنا قذارة)<sup>(38)</sup>.

يحقق هذا النص الخصيصة المتفردة التي انمازت بها الرواية السعودية الجديدة في ظل السمات الحداثية التي اعتمدتها في شكلها الجديد وبنائها الواقعي في الانتفاضة على التقليدية في تصوير تجربة الانسان بسبر باطنه وكسر غريبته داخل نفسه لاستفراغ نوازعه النفسية وذلك من خلال تجسيد الابعاد النفسية في ظل تفاعلات الواقع ، والأزمات التي ترسم في ظلها رؤية الشخصيات وتصوراتها .

ولا نعدم ان نجد نصوصاً مماثلة اخرى انطوت على البعد النفسي في السرد ، تحقيقاً لاسلوب تيار الوعي الذي شكل جزءاً من الهوية الجديدة للرواية السعودية في خضم التحولات التي شهدتها ، في تصوير غربة الانسان وما يختبئ في اغواره من لواعج ومأس ، وهذا نص من (ترمي بشر) ، يستجلي خلاله السارد ما بداخله قائلاً:  
(الحياة المرة لا تترك لك فرصة تدبر معالجة الاعوجاج ، فليس هناك وقت لاختيار الصواب ، او الامتناع عن الخطأ ، حيث تقع على كاهلك مهمة دفع الحياة للامام من

غير تبصر كي لا تتركك خلفها ، وبهذه المدافعة اليومية نفقد انفسنا في اوقات كثيرة ، او نتناقض ، الحياة تلعب معنا لعبة الاغواء ، وتتزود بسحق ارواحنا لكي تستمر في جرياتها ، ونظل تائهين داخلها متبرمين من ضيقها ، او سعتها<sup>(39)</sup>.

والى جوار ذلك تأتي رواية (الطين) ذات الطابع النفسي ، والتي تصور وحدة الانسان ونزاعاته مع الحياة ، جراء الاحباطات الكبيرة التي تُصار على وفق هذا الواقع ومعطياته . فهي سلسلة من الدلالات الفلسفية والابعاد النفسية التي تماثل عمق تجربة الانسان الذي خاضت فيه الرواية الجديدة ، ومنها النص الآتي :

(نحن نعيش في نقطة الغياب ، نمنع من زيارة الماضي بحاجز الماضي ، ولا نقدر على تخطي الايام لرؤية المستقبل . حتى اللحظة المعيشة تمنعك من معرفة خبر علق هناك ، تمنعك من معرفة الاحداث التي تجاورك في حيّك أو مدينتك او قريتك ، تمنعك بحاجز المكان. ولو تركنا اماكننا لما احتجنا لقدح اذهاننا ، سنرى اننا كنا نسير في حركة دائرية ولكبر الدائرة توهمنا اننا كنا نتحرك في خط مستقيم)<sup>(40)</sup>.

ويذكر الناقد السعودي محمد عبد الله الغدامي في هذا الشأن : (لقد كانت النظرة هي ان المجتمع المحافظ ياخذ نفسه بقانون الستر ، وأنه من العيب كشف الفضائح بينما الرواية فضائحية في طبعها . خاصة وقد استقر النمط الاوربي غير الشرقي للرواية . وهي تقاليد كتابية تجعل الجسد مادة وبنية للسرد . وحتى بدا الامر وكأن لا مجال للرواية الا اذا باحت وعرّت المكتومات الجسدية والنفسية والروحانية . تلك هي صورة النص الروائي كما قدمته اوربا التي احتلت الخطاب السردى ، وجاءت بعدها امريكا اللاتينية التي لا ترى فضائحية في الكشف عن الجسد وعرضه على ورقات النص .

وجاءت الرواية العربية الحديثة ايضاً على هذا السياق وتخلت عن طهوريات الحكايات القديمة وتحفظاتها ، ومع التدرج الحذر بلغت النصوص الروائية - مبالغ غير متحفظة في صيغ الكشف والفضح حتى صار العرف وكأن لا سرد من دون فضح جسدي ويضيف قائلاً : (نحن نقول حين يخلع الانسان مخاوفه ويتخلص من منظومة الرقباء داخله يبدأ بالكتابة)<sup>(41)</sup>. ومن هنا تتضح اهم ملامح الرواية الجديدة التي انمازت على يد الاديب عبده خال بوصفه كاتباً عصرياً .

## الخاتمة

تشكل المعطيات الأساس الذي يتبلور في ظله التكوين في ميادين المجتمع كافة . ونحن في صدد رصد التحولات العامة التي تجوب المجتمع السعودي والتي تشكل نمط الحياة في ظل الظروف الراهنة . وقد بدت ملامح تلك التحولات واضحة وجلية من خلال ما قدمته الرواية الجديدة في كسرهما طوق الانكفاء وانتفاضها على التقليدية في محاكاة الشكل الفني الذي ارهق كيانهما الاول . ونزوعها نحو الواقع من خلال تمثيلها لحياة الفرد في واقعه والذي تمثل في تصوير غربته داخل مجتمعه واعلاء تأوهاتة , فضلاً عن الخوض في غمار الانسان والطبيعة التكوينية والبحث في هويته المهمشة .

وعلى وفق هذا سجلت الرواية السعودية الجديدة نقطة تحول مهمة من خلال بلوغها امتياز الواقع والتقريرية في تقديم لواعج الانسان ورؤيته للعالم بما اعتمدته من ميادين الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة منطلقات رئيسة في التشكل الجديد والهيكل العام لبناء الشخصيات وتقديم الاحداث , الى جوار البراعة التي تمثلت في التزام تقنيات جديدة في السرد وآليات فنية حية تتسجم مع واقع الرواية الجديدة وعمق التجارب الانسانية في ظل المعطيات الراهنة للمجتمع السعودي .

## الهوامش

- (1) ينظر : البنية السردية في الرواية السعودية\_دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية , نورة بنت محمد بن ناصر , اطروحة دكتوراه , كلية اللغة العربية , جامعة ام القرى / السعودية , ص 12 .
- (2) ينظر : القصة في المملكة العربية السعودية/ د. حسن بن حجاب الحازمي/ استاذ النقد الادبي الحديث المساعد بجامعة جازان/ ص2.
- (3) ينظر : البنية السردية في الرواية السعودية/ أ- ب .
- (4) ينظر : البنية السردية في الرواية السعودية/ ص 12-13 .
- (5) ينظر : المصدر نفسه/ ص15 .
- (6) في نظرية الرواية \_بحث في تقنيات السرد , د. عبد الملك مرتاض , سلسلة كتب ثقافية شهرية , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , ص51 .
- (7) (جدة) في الرواية السعودية/ منى بنت محمد عبد الله المنتشري/ رسالة ماجستير/ كلية اللغة العربية/ (1) في نظرية الرواية/ ص51 .

- (8) دراسة في البناء الفني في خماسية مدن الملح/ د. حسين حمزة الجبوري/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ط1/ 2004/ ص7.
- (9) البنية السردية في الرواية السعودية/ ص 3 .
- (10) جماليات المكان في الرواية السعودية ، احمد بن سعود البليهد ، اطروحة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة محمد بن سعود ، السعودية ، ص11 .
- (11) البنية السردية في الرواية السعودية/ 15 .
- (12) تلقي الرواية السعودية في الصحافة بين عامي 2000-2010م/ محمد بن عبد العزيز البشير/ مكتبة الملك فهد الوطنية/ 2014/ ص7 .
- (13) في نظرية الرواية/ ص48 .
- (14) ينظر : الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان قراءة في روايات رجاء عالم/ د. احمد جاسم الحسين/ مجلة جامعة دمشق/ المجلد 25/ العدد 2+1/ 2009/ ص109-110 .
- (15) ينظر : المكان في الرواية بين تقانة الوصف وتقانة السرد : رواية (خراب العاشق) إنموذجاً/ احلام عامل هزاع/ مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية/ كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت/ مجلد 16/ ع 1/ ك 2/ 2009/ ص191-192 .
- (16) الطين ، عبده خال ، دار الساقى ، بيروت ، ط1 ، 220، ص204
- (17) الموت يمر من هنا ، عبده خال ، منشورات الجمل ، المانيا ، ط2 ، 2007، ص190 .
- (18) مدن تاكل العشب ، عبده خال ، دار الساقى ، بيروت ، ط2 ، 2008 ، ص68
- (19) ينظر: الموروث السردى في الروائية الجزائرية - (روايات الطاهر وطار وواسيني الاعرج) إنموذجاً / ص186-187 .
- (20) ينظر: في نظرية الرواية / ص49 .
- (21) الموت يمر من هنا / ص236 .
- (22) نباح ، عبده خال ، منشورات الجمل ، المانيا ، ط1 ، 2004 ، ص160 .
- (23) الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية / ملتقى الباحة الثقافي الثاني/ مكتبة الملك فهد الوطنية/ الباحة/ ط1/ 2005/ ص25 .
- (24) الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية / ص68 .
- (25) المتغيرات والتجديد في الرواية العربية المعاصرة/ د. نجم عبد الله كاظم/ مجلة ذوات- الرواية العربية التحول والتحدى/ العدد20/ 2015/ ص28
- (26) ينظر : نباح / ص86-87 .
- (27) نباح/ ص87 .
- (28) نباح / ص88 .

- (29) ينظر : الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية ، ص70 .
- (30) صراعات اثبات الهوية في الخطاب الروائي السعودي المعاصر : صراعات المرأة الوافدة في (البحريات) إنموذجاً / د . ابو المعاطي خيرى الرمادي / مجلة القدس المفتوحة للابحاث والدراسات / ص50 .
- (31) لوعة الغاوية ، عبده خال ، دار الساقى ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص156 .
- (32) ينظر : الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية / ص71 ، 74 .
- (33) تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف/ عدنان محمد علي المحادين/ اطروحة دكتوراه/ جامعة مؤتة/ 2006/ ص11 .
- (34) تيار الوعي في رواية التفكك لرشيد بو جدرة ، صالح لونيسي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب واللغات ، جامعة لخضر باتنة ، الجزائر ، 2012 ، ص26 .
- (35) المصدر نفسه/ ص36 .
- (36) تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف/ ص15 .
- (37) الايام لا تخبئ احداً ، عبده خال ، منشورات الجمل ، المانيا ، ط1 ، 2002 ، ص 101 .
- (38) ترمي بشرر، عبده خال ، منشورات الجمل ، بغداد \_بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص148 .
- (39) الطين ، ص272.
- (40) الرواية السعودية- حوارات واسئلة واشكالات/ طامي بن محمد السميوي/ دار الكفاح للنشر والتوزيع/ الرياض/ ط1/ 2009/ ص6 .
- (41) المصدر نفسه ، ص22 .

## Abstract

Owing to changes the Arabic Novel has witnessed in general and the Saudi Novel in specialty in depicting inner aspects of a human under the societies' changes or its sartatics , this research comes as to aim at the Saudi society structure.

The current research includes the Saudi Society structure via the novel and delving into the social systems that rule the life therein , along with the essential elements that form it , along with the highlighting the important matters ensued by these systems. This could be done by the critic method in the research and literary closeness of the novelist.

Our efforts focused on two directions: , the first direction is the structure trend as being described as a procedural unique method that comprehend factors of analysis and research, the other one is to deeply delve into the social systems concerning with the Saudi Society , via the novel accomplishment of the Saudi Novelist ( Abdulkhal).